إعجـــاز القرآن
فى كتاب النثر الفنى
للدكتور زكى مبارك

انتهت مقالات الأستاذ الغمراوى فى الثورة على آرائى في إعجاز القرآن ، الآراء المبثوثة فى كتاب النثر الفنى ، انتهت مقالاته بأسرع مما كنت أتوقع ، ففى كتاب النثر الفنى آراء فى إعجاز القرآن أخطر من الآراء التى تحدث عنها بإسهاب ، ولو كنت أستظرف هذا الرجل لدللته على تلك الآراء ، فهو في أشد الاحتياج إلى أن يعلن عن نفسه بتكفير الدكتور زكى مبارك ، كما أعلن عن نفسه أعواماً بتكفير الدكتور طه حسين

لقد أشقى نفسه ، وأشقى المطابع ، وأشقى باعة الورق ، ليخرج كتاباً ضخم الحجم فى نقد كتاب الشعر الجاهلى ، وهو اليوم يصوم ليدّخر ما يطبع به كتاباً أضخم وأفخم فى نقد كتاب النثر الفنى

أعانك الله يا أيها الأستاذ المفضال على نفسك ، فما بعد شقوتك شقوة ، ولا بعد ضياعك ضياع

وأنا مع هـذا أعطف عليك ، لأنك من قراء كتاب النثر الفنى ، وبقراءته ستدخل الجنة بغير حساب ، فهو تميمةٌ لنجاتك من تكفير المؤمنين بلا دليل ولا برهان

وإذا صح زعمك الأثيم بأنى أحارب القرآن فلن يسمع الله لك ، ولن تجد من يستريح إلى بهتانك ، يا كاتباً يؤذى الرجال باسم الدين ، وهو أجهل من أن يفهم أسرار الدين

إن مقالاتك فى مجلة الرسالة كانت وبالاً عليك ، فقد صورتك بصورة من لا يفهم حرفاً واحداً من حروف القرآن ، وهى أيضاً شهدت عليك بالعجز عن الصراحة فى مجادلة رجل قضى شبابه فى الاعتصام بالرأى الصريح

أنت تعرف جيداً أن إدارة الرقابة بوزارة الداخلية لا تسمح بنشر المجادلات الدينية ، ومن هنا كان طغيانك ، وإلا فما الذى أسكتك عن نقد آرائى فى إعجاز القرآن وقد ظهر كتاب النثر الفنى قبل عشر سنين ؟

لا يؤذينى أن تزعم أنى ملحد ، ولا يؤذينى أن يتفق الناس جميعاً على أننى ملحد ، فأنا أصافى الله وحده ، ولا أقيم لبنى آدم أى ميزان

ولو أن الله أنعم عليك بإيمان مثل إيمانى لكان لك من الوجود الذاتى ما يعصمك من الافتراء على الرجال

هل يعرف القراء هويّتك يا أيها الأستاذ المفضال ؟

استخبرت عنك فعرفت أنك أستاذ كيمياء بكلية الطب

فما الذى ابتكرت فى علم الكيمياء ؟

إرجع إلى المعمَل كما يعبّر المصريون ، أو المختبَر كما يعبر العراقيون ، واحبس نفسك هناك لتصل إلى شىء ، يا شخصاً يستر تقصيره فى عمله بالتطاول على الرجال

لن تفلح أبداً ، يا هذا الشخص ، ولن يكون لك من المجد العلمى أو المجد الأدبى نصيب ، وإصرارك على الإفك بتكفير الدكتور زكى مبارك لن يزيد فى إيمانك ، وهل يكون لمثلك إيمان ؟

أنا الملحد فى زعمك لم أستعن بغير الله ، ولم أستنصر بغير الله ، ولم أحول وجهى إلى وجهة ينكرها الله ، وقد صرّحت مرّات ومرّات بأنى لا أخاف الله إلا تأدباً مع ذاته العليّة ، فكيف أخاف الناس ؟

سهمك مردودٌ إلى صدرك ، يا هذا الفلان ، وستموت مسلولاً بفضل حقدك ، فارحم نفسك من الحقد لتعيش

بيدى — بعد استئذان الأقدار — حياتك أو موتك ، فانظر ما الذى تختار لنفسك ، يا هذا الفلان !

لم تكن أول كاتب يدعو إلى تشكيك الناس فى إسلامى ، وقد اندحر من سبقوك إلى اتهامى ، فلتندحر أنت أيضاً ، وستحقّ لعنتى عليك فيكون اسمك محمد احمد الغمراوى

ولن أعاتب الأستاذ الزيات بعد اليوم على أن ينشر لك ما تريد فى الغض من أقدار الباحثين ، فقد عرفتُ أن مجلة الرسالة تعبتْ من تلوّم بعض من القراء على إكثارها من الأبحاث المتسمة بالحرية الفكرية ، فهى تنشر مقالاتك لتقول إنها

حديقة تجمع بين الأزهار والحشائش ، وبين الأسود والثعابين

وأنت لجهلك فرحت بمخاصمتي لمجلة الرسالة ، فهل كنت تنتظر أن أخاصم مجلة الرسالة من أجلك إلى آخر الزمان ؟

إن قراء الرسالة سألوا عني حين غِبتُ ، ولن يسأل عنك سائلٌ حين تغيب

ومن أنت حتى يسأل القراء عنك ؟

بضاعتك تنحصر في تكفير المؤمنين

وأنا مع هـذا أعطف عليك ، لأنك من قراء كتاب النثر الفني ؛ والله عز شأنه سيتفضل فيرفع من يقرأون كتاب النثر الفني

ولكن كيف ؟

أفترع الجواب فأقول :

آرائي في إعجاز القرآن بكتاب النثر الفني آراءٌ تُقنع المستنيرين بإعجاز القرآن ، وهم الفئة التي نخاف عليها من الارتياب في إعجاز القرآن

لا خوف من إلحاد العوامّ ، فإيمانهم لن يتعرض لأيّ زلزال ، ولكن الخوف من إلحاد الخواصّ ، وقد أقنعتهم في كتاب النثر الفني بصحة إعجاز القرآن

هؤلاء الخواصّ كانوا في بالي وأنا أؤلف كتاب النثر الفني ، فأشبعتهم إيماناً بإعجاز القرآن ، ولن يرضيهم كلامٌ غير كلامي

* * *

ثم ماذا ؟

ثم أترك محاسبتك على حقدك ، ولا أرجو الله أن يغفر لك ، فما لمثلك مكان في فردوس الغفران

وإن بدا لك أن تعاود الإصرار على اتهامي في إسلامي فسأقول بعبارة صريحة إن إسلامك مدخول ، وإنك تستر جهلك بدعوى الغيرة على الدين الحنيف

وما غرامك بأن تُفهم قُراء الرسالة أني أحارب القرآن ؟

ما هذا الغرام الأثيم بإيذاء المؤمنين يا هـذا الشخص المسلم بالصورة لا بالوجدان ؟

إن آرائي في إعجاز القرآن شرحت صدور الألوف من المسلمين ، وأقنعتهم بأن القرآن قوة روحية لا قوة لفظية ، وأن روحانيته هي السر في ظفره بالخلود

إن مجلة « الرسالة » غير مسئولة عما تصنع بنفسك ، ولو نشرتْ لك ألف مقالة لبقيت حيث وضعك القَدَر العادل أستاذ كيمياء لم يبتكر شيئاً في علم الكيمياء

اترك تكفير الدكتور زكي مبارك وتكفير الدكتور طه حسين يا هذا الفلان ، واشغل نفسك بمصيرك ، يا شخصاً لن يكون له مصير ، ولو اعتصم بالخيوط الفانية مما ينسج السراب

أنا أقنعتُ المثقفين بإعجاز القرآن ، فماذا صنعتَ أنت ؟

* * *

أما بعد فهذا جوابي لقرائي ، وهو جواب رجل يقال إنه ملحد ، ردّاً على مفتريات يذيعها عني جهولٌ يدعو إلى اتهامي في إسلامي

لك الويل يا هـذا الفلان ، فلن أترك الرد عليك ما دامت مجلة الرسالة ترى أنك أهل لنشر ما تسوق من المفتريات

رأيي هو الرأي ، ويكفيني مجداً وشرفاً أني أقنعت المثقفين بإعجاز القرآن ، وعند الله جزائي ، وما عند الله أخلد من الخلود

زكي مبارك

اللغة والدين والتقاليد

للدكتور زكي مبارك

وهي الرسالة التي نالت جائزة المباراة الأدبية الرسمية بقرار لجنة التحكيم المؤلفة من أصحاب المعالي والسعادة لطفي السيد باشا وجعفر ولي باشا وبهي الدين بركات باشا ومصطفى عبد الرازق باشا والدكتور طه حسين بك

يطلب من المكاتب الشهيرة

وثمن النسخة عشرة قروش